تأملات إبستمولوجية في سؤال قراءة الفكر اللّغوي العربي القديم

Epistemlogical musing on interpreting ancient arabic linguistic thought

شارف بن عطية هجيرة[1]*

[1] أحمد بن بلة وهران (01)، الجزائر، البريد الإلكتروني: linguisticresearcher44@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026-03-02 تاريخ القبول: 2026-05-01 تاريخ النشر: 2026-06-01

ملخص البحث

شكلت العلاقة القائمة بين الفكر اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة مأزقا منهجيا، تناوله اللسانيّون العرب المحدثون من وجهات نظر مختلفة. وقد كان مبدأ التحديث والتقليد هو المنطلق الإبستمولوجي في الإفصاح عن مواقفهم والباعث الحقيقي وراء اختلاف وجهات نظرهم في معالجة هذه الإشكالية الملتبسة على حدّ وصف "مصطفى غلفان"، فتناولوا هذه المسألة بنوع من التعميق المنهجي معلّلين ومفسرين جوانب كثيرة أفرزتها هذه الإشكالية سواءأكانتعلى المستوى المنهجي أم المعرفي، وهو ما سنحاول الوقوف عنده في دراستنا؛ وذلك من خلال سرد ما تضمنته نظرياتهم ومقارباتهم المطروحة في هذا السّياقونقدها.

الكلمات المفتاحية:

الفكر اللغوي العربي القديم، اللسانيات الحديثة، الإبستمولوجيا، المنهج.

Abstract:

The relation between ancient arabic linguistic thought and, modern linguistics has posed a methodological problem, which was approached by modern arab linguistic from different pers pectivers. The principle of modernization and tradition was the epistemological starting point far expressing their position, and the real reason behind differing views on this complex issue; as Mostafa Ghalfan – described-. so they discuss this issue with a methodological depth interpreting many aspects which has generated methodologically, and cognitively and this is what we will tackle in our researcher by presenting and critic their theories.

Key words:

Ancient Arabic Linguistic thought ; methodology ; modern linguistic ; epstimology.

1. مقدمة:

يقف اللسانيون العرب المحدثون إلى جانب من يشتغلون بالنقد اللساني العربي الحديث عند مسألة التراث النحوي واللسانيات الحديثة موقفا إبستمولوجيا تضاربت فيه الرؤى، وتعددت فيه المواقف تبعا لاختلاف نظرياتهم حول هذه المسألة، فانحاز التراثيون إلى الفكر اللغوي العربي القديم وأولوه اهتماما بالغا وأنكروا كلّ مستجد لغوي من منطلق أنّ التراث شامل في تناوله للظواهر اللغوية المختلفة، ولا سبيل إلى تجاوزه أو نقده. وعلى النقيض من ذلك رأى أصحاب التحديث أن ما جاءت به اللسانيات الغربية حري بنا أخذه من منطلق أن المعرفة العلمية في تجدد مستمر وليست أوليات المنهج مقتصرة على التراث اللغوي فقط، بل ينبغي تجاوزه والبحث عن نموذج

* المؤلف المرسل: شارف بن عطية هجيرة

لساني جديد، في حين اعتدل صنف آخر من اللسانيين العرب المحدثين وانتهجوا نهجا وسطيا فذهبوا في دراستهم مذهب إعادة قراءة التراث اللغوي في ضوء ما جاءت به اللسانيات الحديثة، وقد كان هدفهم من ذلك إعادة إحياء التراث وجعله منصهرا ضمن النظريات اللسانية الغربية.

1-1 الإشكاليّة المطروحة:

تأسيسا على هذه التقسيمات والاختلافات المذهبية، وبغية مساءلة هذه القضية على مستويات منهجية عميقة، جاءت إشكالية دراستنا منحصرة في:

كيف نقيّم منهجيا وإبستمولوجيا مواقف هؤلاء اللسانيين وآراءهم بالنظر إلى ما تطرحه هذه القضية من جدالات معرفية على المستوى المنهجي والنقدي؟

1-2 الهدف المتوخى من البحث:

قياسا على ما تم ذكره، يأتي غرض الباحثة من الدراسة ساردا وعارضا لمجمل المواقف النقدية التي أبداها اللسانيون المحدثون في هذا الشأن المعرفي؛ إذ إن المراجعة والمتابعة الدقيقة في هذه الموضوع، باتت ضرورة منهجية ملحة؛ بل إن التقييم الإبستيمي أضحى مطلبا علميا يساهم في تطوير المعرفة اللسانية في البيئة العربية بعيدا عن ضروب الاجترار الدائم؛ الذي لم ينفك يفرض سلطته على كثير من الكتابات اللسانية الحديثة.

1-3 المنهج المعتمد في البحث:

للوصول إلى مبتغانا من الدراسة ولو في حدود طرح التساؤلات وإثارة الشغف الإبستيمي لدى القارئ، عمدت الباحثة إلى تبني المنهج الوصفي اعتمادا على توليفة منهجية إجرائية قوامها عنصر التحليل والمناقشة والنقد، مستفيدة من الأنظار اللغوية التي سِيقت في تناول هذه القضية.

1-4 الهيكل التنظيمي للبحث:

لقد سيق البحث في مناقشة العناصر الآتية:

1 تمهيد.

2 إشكال التّسمية: التراث اللغوي أم الفكر اللغوي العربي القديم؟

3 الفكر اللّغوي العربي القديم واللّسانيات الحديثة: إشكاليات منهجيّة مطروحة.

4 قراءة إبستمولوجية لمواقف بعض اللسانيين العرب المحدثين من هذه الإشكالية.

5 ما نحتاج إليه من ضوابط منهجية.

6 خلاصة النّظر.

1- تمهيد:

نسلّم معرفيا بأن مناقشة هذا الموضوع الذي يرتبط ارتباطا شديدا بالفكر اللغوي العربي القديم، لا يتأتى هدفه الحقيقي في الوصول إلى إجابات نهائية متفق عليها؛ وإنما في إثارة الشغف الإبستيمي في طرح الأسئلة المعرفية التي تجعلنا نقارب هذا الموضوع مقاربة علمية نتوخى فيها تطبيق بعض المقدمات البسيطة التي يطرحها

العمل الإبستمولوجي في تناول قضية ما، ولهذا السبب فإننا سعينا إلى إثارة جوانب من هذا الموضوع بنوع من المرونة في عرض الأفكار ومناقشتها، وليس التحيز أو التحليق بعيدا عن ما تفرضه الحقيقة.

2- إشكال التّسمية: التراث اللغوي أم الفكر اللغوي العربي القديم؟

قبل الخوض في الحديث عن هذه القضية، ارتأينا أن نذكر هذا العنوان الذي أوردناه على صيغة استفهام قصد توصيل فكرة في غاية الأهمية، نكاد نجزم بعدم تنبّه كثير من الدارسين إليها في أثناء تناولهم مسائل منهجية وقضايا معرفية حول القديم والحديث، ألا وهي استعمالهم عبارة"التراث اللغوي"تارة و"الفكر اللغوي العربي القديم"أو "الفكر النحوي"تارة أخرى، وثمة فرق في إطلاق هذه المسميات وجب توضيح مكامن الاختلاف بينها،خاصة ونحن نتعامل مع منجز لغوي وحضاري له قيمته الكبرى داخل المشهد اللغوي العالمي، بل نراه"ذا عمق إنساني على مستوى التاريخ الأشمل".[1]

يختلف مفهوم التراث العربي عند الدارسين باختلاف المجال الذي يروم مقاربته من النّاحية المفاهيميّة، حاملا للكثير من السمات الاصطلاحية المتعددة؛ ففي مجال الفلسفة مثلا يختلف تعريفه إذا ما قارنا مفهومه بما جاء في مجال علم التاريخ أو علم الاجتماع أو الفكر الإسلامي وغيرها من الميادين المعرفية.

ولعلّ من التعاريف التي نذكرها على سبيل التمثيل تعريف "طه عبد الرحمن"،الذي ارتأينا ذكره؛ لأننا نكاد نراه مستجمعا لكثير من المقومات الأساسية التي يعكسها هذا المسمى في بعده الخاص والعام على حد سواء،فالتراث في نظره هو "عبارة عن جملة من المضامين والوسائل الخطابية والسلوكية التي تحدد الوجود الإنتاجي للمسلم العربي في أخذه بمجموعة من القيم القومية والإنسانية حية كانت أم ميتة".[2]

يفتح هذا التعريف آفاقا استنباطية متعددة أمام القارئ، ولعل من أبرز ما وقفنا عنده أن التراث العربي يحمل في طياته أبعادا عميقة تتأتى في:

- **البعد المعرفي:**

ويقصد به الحمولات المعرفية التي يتضمنها هذا التراث على مستوى الممارسات العلمية فهو نتاج عقل عربي مسلم يتميز بخصائص مختلفة منها أنه؛ "علمي في برهانه وكوني في رؤيته، وفطري في بصيرته، ويقيني في دعوته واجتماعي في حكمته، وسلمي في غاياته".[3]

- **البعد الانتمائي:**

أي أن التراث هوية إنسانية وحضارية تعكس شخصية الذات العربية دينيا وثقافيا وإيديولوجيا.

- **البعد السلوكي أو النفسي:**

ويشمل مجموع المتضمنات النفسية من سلوكيات ومعاملات ذاتية أو اجتماعية تحقق مجموعة من المبادئ والقيم الأخلاقية؛ التي تعكس البناء الشخصي أو الفردي للنموذج العربي سيكولوجيا.

وانطلاقا مما يمليه اقتناعنا المعرفي بضرورة ذكر الاختلافات ومناقشة وجهات النظر التي من شأنها أن تثري إبستيما جوانب هذا الموضوع ، يتوجب علينا أن ننبّه القارئ على مسألة في غاية الأهمية وجدناها مطروحة عند الباحث التونسي محمد صلاح الدين الشريف ؛ إذ أوضح بتبرير منهجي أن

استعمال عبارة التراث اللغوي هو نوع من المغالطة المبطنة، قد يُرى لها الأثر السلبي على ما أنجزه اللغويون المتقدمون أكثر مما تحمله من رؤى إيجابية تشيد بريادتهم في مجال البحث اللغوي عامة.

وقياسا على هذا المعتقد، فإن هذهالعبارة غير دقيقة ولا أساس لها في أدبيات البحث العلمي؛ ففي نظره التراث هو "عبارة ثقافية تشمل المعطيات الثقافية الموروثة الخاصة بشعب أو أمة، وتستعمل لما لم يعد له من قيمة سوى أن يكون شهادة عن ماض ومحافظة عليه معلما تاريخيا".[4]أي أنها تحمل دلالات ثقافية كغيرها من المواريث كالألبسة والعادات والتقاليد والفلكور الشعبي والرقص وغيرها من المعالم التاريخية القديمة، ومثل هذه المفاهيم لا ينبغي أن نضمن جهود النحاة الأوائل إليها ونعتبرها معطى ثقافيالا غير، فهذا مما لا يستساغ توظيفه في مجال إبستيمية البحث العلمي أو استعماله بالصورة نفسها؛ لأن مثل هذه الأحكام قد تسيء إلى منجزات المتقدمين، وهذا أكبر خطأ منهجي يستعمله الباحثون دون وعي أو إدراك منهم.

وتأسيسا على هذا الموقف فالأنسب علميا في نظرنا استعمال عبارة الفكر اللغوي العربي القديم أو النظرية النحوية العربية القديمة، وذلك تفاديا لأي انتقاص قد يمسّ ما توصل إليه علماء العربية من إنجازات علمية.

3- الفكر اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة: إشكاليات منهجية مطروحة:

يتراءى لنا ونحن في مستهل حديثنا عن هذه المسألة تبرير منهجي قد أُثير كثيرا بين أوساط الدارسين، والذي سننطلق منه بوصفه فرضية أولية، سنحاول تصديقها أو رفضها بناء على المعطيات الشارحة التي سنستدل بها في مسار بحثنا، ويتمثل هذا التبرير المثار كون أن المبدأ العلمي في قانون أساسيات البحث العلمي ينبني على فكرة جوهرية وهي، أنه لا وجود لمعرفة سابقة دون معرفة لاحقة والعكس صحيح، ومن من يلغي هذه الخصوصية المنهجية تكون نظرته قاصرة أو على الأقل لا تستجيب لمطلب الموضوعية العلمية على أصولها، وعليه فهل ينطبق الأمر نفسه بالنسبة إلى طبيعة العلاقة بين الفكر النحوي واللسانيات الحديثة؟

يكاد يحصل الاتفاق التام بين الدارسين والمهتمين بالشأن الإبستيمولوجي فيما يتعلق بمسألة الفكر النحوي واللسانيات الحديثة، أنها إشكالية عميقة ولا تزال تطرح نفسها في كل مشهد لغوي لا لشيء سوى أنها تطرح الكثير من الرؤى والآراء ليس على مستوى علمي فقط وإنما على مستويات

انتمائية تبرز معتقد كل لساني يحاكي هذه القضية، واللافت للنظر أن طبيعة العلاقة بينهما غير واضحة تمام الوضوح؛ حيث تتداخل حينا وتبتعد حينا آخروتكون أحيانا متطابقة وتارة أخرى متناقضة ومتطابقة في الوقت نفسه.

ويمكننا أن نلاحظ ذلك من خلال بعض الأحكام النقدية؛ التي صدرت عن بعض الباحثين في وصفهم لهذه القضية وامتداداتها المعرفية، وقد صرح الجابري[5]بذلك موضحا ذلك العجز المنهجي الذي استطال الكتابات اللسانية العربية والذي أنبأ عن وجود خلل في طبيعة العلاقة الرابطة بين التراث واللسانيات، ومن ثمّ حصول خلل معرفي في مواكبة مقتضيات العصر أو الزمن.

وقياسا على هذا التذبذب في استنطاق طبيعة العلائق الموجودة بين هذين القطبين؛ والتي لسنا نراها مسألة متعلقة بفكرين مختلفين زمنيّا؛ أحدهما قديم والآخر حديث فقط، وإنما هي مسألة لها جذور ضاربة ومتعلقة بجوهر التصورات الفكرية والتاريخية والثقافية والإيديولوجية المحيطة بكل فكر؛ والتي تتحرك نواميسه في كل فكرة تُطرح أو رؤية تُعرض، أو استنتاج يُتَوصل إليه؛ ولعل هذا ما تناوله جمع غير يسير من الباحثين تحت مسمى إشكالية الأصالة والمعاصرة، وهي إشكالية لها امتداداتها المختلفة على مستويات ثقافية وإنسانية واجتماعية ونفسية منذ عقد من الزمن.

وقد أوضح مازن الوعر مبرزا ذلك الصراع الحاصل – بين من ينتمون إلى الأصالة اللغوية في مقابل من يفضلون الانتماء إلى المعاصرة اللسانية–كونه لا يرتبط حقيقة بجوهر الأبحاث اللسانية التي ينتجها الباحثون مفصحين فيها عن اختلافهم في وجهات النظر، وإنما حقيقة الصراع ناتجة عن الأزمة النفسية الفردية التي يعاني منها المثقف العربي عموما، وعليه فإن الحكم على طبيعة العلاقة بين النحو العربي واللسانيات ما فتئ يخضع لتلك"المعادلة الثقافية"ومن ثمّ وقياسا عليها، أضحى من الصعب إقامة التوازن بين متطلبات المعاصرة وامتدادات الأصالة.[6]

ومن ثمّ فإن السؤال الذي ما برح يتداوله الدارسون وقد أشار إليه عبد السلام المسدي قبل ذلك، وهو كيف يتعامل الباحث المهتم بالشأن اللساني في ضوء تلك المعطيات الثقافية والحضارية وبالنظر إلى ثنائية القديم والحديث مع هذه الإشكالية، هل ينظر إليها على وفق تصور واحد؟ وإذا ثبت وجود تصورات متعددة، فما هي التبريرات التي يقترحها الباحثون دفاعا عن مواقفهم؟

بداية إن المتأمل في هذه المسألة يجد أن الإشكالية الكبرى التي تطرح هي أزمة المنهج أولا؛ ونقصد بالمنهج ها هنا الطريقة المعتمدة عند كل لساني في مقاربته لهذه المسألة، ثم تليها إشكالية اختلاف منظورات التقييم على مستوى التبني والتعامل ثانيا، وقد يزداد الأمر استشكالا إذا أخذنا في الحسبان عوائق أخرى؛ كإشكالية التأريخ للمفاهيم والنظريات اللسانية وتلقيها في الثقافة العربية وما تبعه من مآزق على مستوى الإدراك والتمثيل، أضف إلى ذلك مأزق التجانس غير الحاصل بين أبجديات العمل النظري ومقتضيات التطبيق على مستوى تحديد نوعية العلاقة بين الطرفين.

ولعل هذه الإشكاليات ترتبط أساسا بالعقل العربي المعاصر وكيف أصبح يتمثل المعرفة في ظل غياب العمل النقدي، وهذا لا ينطبق على مجال اللغة واللسانيات فحسب؛ بل يتعداه إلى مجالات إنسانية واجتماعية تقاسمه الهم المعرفي والمنهجي نفسه.

وقياسا على ما تمّ ذكره، فإن سؤال القراءة سينفتح على محطات منهجية تحتاج من الباحث إلى التسلح بمقومات موضوعية علمية ونقدية مؤسسة، فضلا عن وعي لساني كبير يعينه على مناقشة مختلف الآراء آخذا في الحسبان الإحاطة الدقيقة بكل مقاربة، واختلاف الغايات والأهداف عند كل من يتجشم عناء الغوص في هذه القراءات المتعددة، وباختصار فإن القراءة "لا تتأتى بالمجازفة وإرسال الأحكام في مجمل هذا الفكر"[7]، وإنما بالمراجعة الفاحصة وإعادة النظر في المنطلقات والنتائج على حد سواء، والبحث في علل الأشياء والحقائق، إذ "كلما نتعمق بالأشياء ونؤسس على العلل نجد أنفسنا في الطريق إلى الأصل الأساس".[8]

وعليه فقد أبانت الدراسات وأفصح المهتمون بهذا الشأن اللساني المتعلق بالفكر اللغوي واللسانيات عن وجود المواقف الآتية:

3-1 موقف الانتصار للفكر اللغوي العربي القديم: خطاب التّقليد:

يرجع الاقتناع المعرفي للمنتمين إلى هذا الصنف من الباحثين إلى تبنيهم المطلق لفرضية السبق المعرفي في حق النحاة وعلماء العربية القدماء، فالفكر النحوي كان في أوج عطاءاته المعرفية بالنظر لما أنتجه النحويون من تحليلات نحوية وطرائق في الاستدلال العلمي وفي مختلف ما تناولوه من معارف نحوية وحقائق لغوية لا تزال باقية إلى عصرنا الحالي، وما جاءت به اللسانيات الحديثة لا يغدو أمرا جديدا ولذلك فإن "النظر العلمي اللغوي المعاصر له جذور تمتد في الماضي...وفيه نظرات تدل على

نباهة أصحابها، وفهمهم العميق لأنظمة اللغة، وهم أول من فرقوا – وإن لم يصرحوا–بين الكلام واللغة وأنهم...قد درسوا اللغة درسا وصفيا استقرائيا...".[9]

يسلّم التراثيون معرفيا بمبدأ "لا إبداع بغير التراث ولا هوية بغير التراث، إذ يكون التراث بمثابة المرتكز الذي يسمح للإنسان أن يستجمع قواه ليمتد في المستقبل، ففي الماضي وفي إنتاجه كل ما يمكن أن يمد المسلم بأسس تثبيت هويته ودعم إبداعه".[10]

والواضح أنّ منطلق التراثيين يتجلى في تمسكهم بأصالة النحو العربي والمحافظة على المكانة التي تحظى بها اللغة العربية، وقد نبع هذا التمسك الشديد بها لارتباطها بالقرآن الكريم ولأسباب نفسية وحضارية فقد ترسخ لدى الباحث العربي قناعة فكرية تحمل نوعا من القداسة تجاه لغته، قد جعلته يستغني عن كل مبادئ علمية جديدة خاصة إذا كانت تحمل رؤى فكرية تخالف اقتناعاته الشخصية، وبهذا نشأت في مخيلته عقدة الاستغناء عن كل بديل علمي قد يطرح على الساحة البحثية.

3–2 موقف الانتصار للسانيات الحديثة : خطاب التجاوز:

لقد ساد الاعتقاد بين أوساط الدارسين والمهتمين بمجال اللغويات والعلوم الإنسانية عامة، أن اللسانيات تمثّل علما كونيا، وقد احتلت هذه الصّدارة العلميّة بين تلك العلوم نظرا لدقة منهجها في دراسة اللغة إلى جانب اعتمادها على المنهج النّوعي والكمي معا .

وانطلاقا من تلك المسلمات يستدل أنصار التحديث اللساني في الثقافة العربية بمبدأ كونية النماذج المعرفية، لذلك نجدهم ينتقدون التبعية التامة للقديم وفي الآن ذاته يدعون إلى الانفتاح على الجديد، ومن ثمّ فإن الالتفات حول التراث "وتلمس الحلول من خلاله، لكل قضايانا المعاصرة، يعدّ شكلا من أشكال الهزيمة والانطواء على الذات".[11]وقد حاول المنتمون إلى الطرح اللساني على حساب الفكر اللغوي العربي القديم الانطلاق من قضية تجاوز القديم والاستفادة مما أفرزته الثقافة الغربية في مجال البحث اللساني من مناهج وطرائق في دراسة اللغة.ومن ثم علينا أن نتخلى عن الفكرة السلبية التي توارثها بعض الباحثين كون اللسانيات ذلك "المجهول الذي يثير فينا توجسا وخوفا أكثر مما يثير فينا نزعة ولو فضولية لمعرفة موقعنا من واقع الثقافة، والعلوم والمعرفة في العالم".[12]

إن أغلب المناقشات العلمية التي تناولها هؤلاء تتمحور حول نقد النحاة وذكر مسألة التعقيد؛ التي يتّصف بها النحو العربي مما يجعله نحوا صعبا يفتقر إلى خاصية التلاؤم مع العصر الحديث، وهذا العمل اللساني هو ما ألفناه عند من سُمّوا بالوصفيين العرب المحدثين أمثال: إبراهيم مصطفى في نقده لنظرية العامل، وغيره. ولعل المأزق المنهجي الذي وقع فيه هؤلاء أن ثقافة الهدم[13]أو النقد التي اعتمدوها لم يكن من ورائها ذلك البناء اللساني الجديد؛ الذي من شأنه أن يضفي على اللغة العربية طابعا آخر في نمط دراستها، خاصة ونحن نلاحظ أن مقارباتهم البحثية قد جاءت في زمن كانت فيه اللسانيات الغربية تتلمس طريقها في الولوج إلى الثقافة العربية.

ومهما حاول بعض الباحثين انتقاد النحو العربي فإنه سيظل "أرضية لتفكيرنا وحصيلة متلاحقة لما مضى من كينونتنا، لا تقبل حلقاتها المتآخذة أن تكون عرضة للاجتثاث، ولا لأي شكل من أشكال البتر والاستعباد".[14]ويذهب عز الدين المجدوب إلى الإقرار بأن عملية التقييم التي انطلق منها هؤلاء الحداثيون في نقدهم للنحو العربي وتبنيهم المطلق لمسلمات الدرس اللساني الغربي، كان ينقصها التأسيس النظري وفي أغلب الأحيان كان ينقصها الوضوح، ولعل ذلك راجع إلى سببين هما:[15]

- **من الناحية العلمية**:أي الشروط التي تقوم عليها النظرية العلمية وما يكتنفها من أبعاد فلسفية وتوجهية مذهبية.
- **ما يرتبط باللغة لسانيا**:أي بالنظر إلى الظاهرة اللغوية في حد ذاتها؛ حيث تتسم بالتوسع ويصعب حصرها، مما يفرض على الباحث الالتزام بمجموعة من الضوابط المنهجية العميقة.

3-3 موقف الاعتدال : خطاب التقريب:

بالنظر إلى التصور القائم على ما يسمى لسانيات التراث، فإننا ألفينا إبعادا لما يسمى في فلسفة العلوم بالقطيعة الإبستمولوجية؛ حيث لم يقم اللسانيون المحدثون قطيعة معرفية بين اللسانيات الحديثة والفكر اللغوي العربي القديم؛ بل رأوا في ذلك إمدادا وإغناء لتطور الدرس اللساني العربي الحديث، وأطلقوا على ذلك ما يسمى بمنهج إعادة قراءة التراث، أو القراءة التفاعلية التي تقوم على مبدأ القرض والاقتراض أو إن جاز لنا القول هو حوار إبستيمولوجي بين عصرين لغويين مختلفين.

ويأتي هدفهم من ذلك إبراز قيمة الفكر اللغوي العربي القديم، وذلك من خلال قراءة التصورات التراثية لكثير من القضايا اللغوية وإعادة بنائها وفق ما توصل إليه الدرس اللساني في مفاهيمه وقضاياه وإشكالاته المتجددة من حين إلى حين؛ وكأن هذا النوع من القراءات تطعيم منهجي يجعل الفكر اللغوي القديم مندمجا مع النظريات اللسانية الحديثة التي تظهر، أو هو إثبات منهجي لفرضية السبق المعرفي الذي اتصف به الفكر النحوي العربي القديم، وكم لاحظنا وجود تمثّلات هذا النوع من القراءات في كثير من الكتابات اللسانية الحديثة.

وعليه وتأسيسا على هذا المعطى المعرفي الذي ألفينا تأثيره الواضح عمّا سوف نناقشه، فيما يتعلق بمجال معالجة الفكر اللغوي العربي القديم في ضوء ما تشهده الساحة اللسانية اليوم من تواكب النظريات اللسانية الغربية، وفي ضوء هذا التوافد العلمي الغربي، ومع تزايد عدد المقاربات اللسانية التي ما فتئت تظهر من حين لآخر، أصبح سؤال الإسقاط والاستنطاق وسؤال القراءة والاجترار المعرفي مطروحا بشكل أكبر عن ذي قبل؛ وكاد المتمعن فيما كُتب في هذا الشأن يستقر رأيه على عدم توافر كتابات لسانية عربية واضحة في مبادئها وأصولها المتبناة، ولا نذكر هذا الحكم من باب الانتقاص من تلك المساهمات العلمية، وإنما هو إقرار بمدى وجود خلط أو تضارب في القناعات الشخصية والمواقف الإيديولوجية.

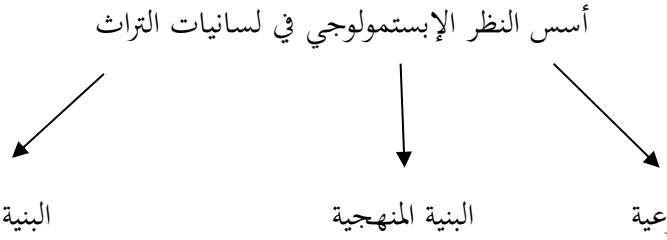
ومن ثمّ وعلى حد وصف "مصطفى غلفان"فإن الفكر اللغوي القديم قد "أصبح مجال استنتاجات وتأويلات خيالية لا تدعمها نظرية المعرفة ولا تاريخ العلوم وفلسفة العلم ومناهجها[16]وقد أوقعوه في إسقاطات ظرفية قد يخالها البعض خادمة له ومساهمة في تطويره، بينما رآها البعض منهم انتقاصا لقيمته ومركزيته العلمية.

وقد ذهب بعضهم إلى الإقرار بأن هذه الممارسات أو الاعتقادات البحثية ليست من مخرجات مفهوم العلمية بمعناها الإبستيمي، إذ الواجب من منظور ما تتطلبه فلسفة العلم كما يشير إلى ذلك كارل بوبرk.Popper (ت1994م)؛ بقوله:إن"المعرفة العلمية ينبغي أن تبرر باستقلال عن نزوات أي شخص، ويكون التبرير موضوعيا عندما يكون قابلا للمراقبة ويفهمه الكل"[17]؛ أي أن يتصف سؤال القراءة بالموضوعية التامة، رغم أن مفهوم الموضوعية عميق في طرحه، ولكن ما نقصده أن يفرز خطاب القراءة منهجيته الواضحة بضوابطها المنهجية المتمثلة في عمق الطرح ومستوى القدرة التفسيرية

وعنصر الإبداع والتجديد، وليس كما نلاحظ على كثير من الأعمال التي لاتزال في مرحلة التكرار والنقل والنسخ وغيرها من الإشكاليات والعوائق التي عطلت مسار تطور الدرس اللساني العربي الحديث في الثقافة العربية.

وقد تناول هذه العوائق والأزمات تناولا مفصلا حافظ إسماعيلي علوي، ومصطفى غلفان وغيرهما، ممن شخّصوا أزمات تلقي اللسانيات في البيئة العربية وتبعات ذلك التلقي وانعكاساته على توجهاتهم في مجال البحث اللساني العربي.

أمّا من ناحية النظر الإبستمولوجي الذي تقوم عليها لسانيات التراث فنكاد نرى في تقسيم مصطفى غلفان التصنيف الشامل والمفصح عن تمثلات هذا التيار اللساني، فلو أردنا تقييمها جاز لنا النظر علميا فيما طرحه على النحو الوارد:[18]



أوّلا: بالنظر إلى طبيعة الموضوع الذي تشتغل عليه:

أ-الانطلاق مما يسمى القراءة الكلية للفكر اللغوي العربي القديم بوصفه كتلة واحدة وجب النظر إليه في شموليته من حيث منطلقات التنظير والتأسيس وصولا إلى الممارسات الإجرائية، ولعل كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي يجسد هذا النوع من القراءات وامتداداتها المعرفية والمنهجية.

ب- الانطلاق مما يسمى القراءة الجزئية أي تناول مستوى من المستويات اللسانية فونتيكيا أو صرفيا أو نحويا بالتّحليل والمناقشة والنّقد.

ج- الانطلاق من القراءة في جهود عالم من العلماء اللغويين المتقدمين كسيبويه (ت180هـ) أو ابن جني (ت392هـ) أو عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) أو السكّاكي (ت626هـ)، وذلك بالبحث في منهجه وطرائق استدلاله ونظريته في معالجة قضايا اللغة العربية، مع عقد مقارنات بين

هذه الجهود وما توصلت إليه اللسانيات الحديثة في أحدث مقارباتها ونظرياتها، سواء بالنسبة لبعض المفاهيم على وجه الخصوص أو بالنسبة لبعض القضايا اللغوية عامة، نذكر من ذلك على سبيل التمثيل :[19]

أ- قراءة أحمد المتوكل لمنهج عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم ومسألة المعنى والدلالة.

ب- مفهوم الاستقامة النحوية عند سيبويه ومقارنته بمفهوم المقبولية واللامقبولية النحوية عند تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية.

ج- باب الخبر والإنشاء عند البلاغيين القدامى، ومقارنته بنظرية أفعال الكلام عند التّداوليين الغربيين المحدثين وغيرها من القضايا المتعلقة بالخطاب والسياق والاستعمال

ثانيا: بالنظر إلى المنهج المعتمد:

لا يمكن الجزم بوجود منهج موحد في مثل هذا النوع من القراءات، فلكل باحث قراءته القائمة على تصوراته وفهمه ومسلماته التي ينطلق منها في مقاربة هذه المسألة، ولكن يبقى طابع المقارنة هو السمة المنهجية الطاغية على تلكم الاجتهادات.

ثالثا: بالنظر إلى الهدف المرجو تحقيقه:

السعي إلى تحقيق مبدأ التفاعل المزدوج بين اللسانيات الحديثة والنحو العربي، وذلك من خلال خلق خاصية التجسير المعرفي؛ الذي يرتكز في أولياته على خاصية التطعيم المنهجي.

4- قراءة إبستمولوجية لمواقف عدد من اللسانيين العرب المحدثين من هذه الإشكالية:

ستحاول الباحثة – وهي تستظهر مجموعةمن هذه المواقف –الاعتماد على الترتيب التاريخي لهؤلاء اللسانيين؛ لذلك ستبدأ بموقف صاحب النظرية الخليلية الحديثة وهو عبد الرحمن الحاج صالح (ت2017م)، ثم من يليه،وعليه فهي تنوّه في هذا السياق إلى أن هذا الترتيب لن يكون منبنيا على قناعات شخصية أو أنظار إيديولوجية تحملها الباحثة اتجاه أحد منهم، إذ الهدف من ذلك الاعتماد على ما جاء به أصحاب النظريات اللسانية العربية المعروفة في العالم العربي في هذا الشأن اللساني،

فضلا عن ذكر مواقف لبعض من الباحثين المحدثين ممن يشتغلون مؤخرا تحت ما يسمى"النقد اللساني العربي"مناقشة وتحليلا على النحو الوارد:

4-1 آراء عبد الرحمن الحاج صالح (ت2017م) في نظريته الخليلية الحديثة:

4-1-1 المنطلقات النظرية والمنهجية حول سؤال القراءة:

ليس هدفنا أن نسرد نظريا كل ما تضمنته نظرية الحاج صالح، وإنما نحن في سياق توضيح المعالم المنهجية والأسس العلمية التي انبنت عليها قناعاته المعرفية،وإن المتأمل في منهج الحاج صالح يلاحظ جليا تفرده المنهجي ورؤيته الأصيلة في البعث والتجديد وفق تصور فيه إبداع ودقة وليس تبعية للفكر اللساني الغربي- وقد أشار إلى ذلك في إحدى استقراءاته لمفهوم الحدّ والقسمة عند النحاة- إذ أفصح قائلا: "فالنحاة الخليليون القدامى، ونحن أتباع لهم في ذلك مجتهدون لا مقلّدون**..."[20].

وعليه ينطلق عبد الرحمن الحاج صالح من مفهوم الأصالة النحوية في كتاباته اللسانية وذلك بالنظر والانغماس العميق في تلك الأصول العلمية التي تميز بها الفكر اللغوي العربي القديم من غيره، وقد أبان عن منهجه في ذلك موضحا أنه يعمد إلى عقد المقارنة بين ما توصل إليه النحاة المؤسسون وبين ما أفرزته الثقافة الغربية اللسانية من نظريات ومقاربات ولكن رؤيته لا تقوم على أساس الانبهار بالمنجز اللساني الغربي، وإنما الفحص الدقيق والتمحيص المتأني في قراءة تلك النظريات، وحجته في ذلك أنه لا ينبغي الاقتناع التام بما احتوته نظرية لسانية ما تظهر على الساحة اللغوية؛ "لأن النظريات والمذاهب ليست هي الحقائق العلمية التي يجتمع على صحتها كل العلماء"،[21]كما أنها أنظار لغوية كانت نتاج لغة غربية تختلف في مفاهيمها عما وجد عند النحاة المتقدمين.

إنّ مفهوم التأصيل في وعي الحاج صالح قائم على فكرة الاستقلالية الفكرية وعدم الانقياد التام لنظرة الآخر، "والامتناع عن التمسك بعقيدة سابقة غير الأصول العقلية والعلمية المجمع على صحتها في كل زمان وفي كل مكان"[22]لأن الانقياد التام في نظره هو سبب التقليد وغياب الإبداع.

وتأسيسا على هذا الوعي الإبستمولوجي والدعوة إلى النقد العلمي المؤسس يصرح الحاج صالح قائلا: "لا نريد النظر فيما أخرجه القدامى وفي أعيننا نظارات خاصة بالعصر الذي نعيشه فنطمس الرؤية القديمة بالرؤية الجديدة ولو من بعض الجوانب".[23]وعليه فإن الأبجديات العلمية التي يحملها مفهوم التأصيل اللساني في فكر الحاج صالح، تنبني على فكرة عميقة تتجلى "في عدم الاطمئنان

مقدما وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتى يقوم الدليل؛ الذي يحمل الإنسان بل يجبره على تقبل أقوال غيره".[24]

ولعل هذا ما يصطلح عليه بالمساءلة النقدية التي تتيح للباحث اللساني إمكانية نقد وتقويم الآراء سواء ما تعلق بالقديم أو الحديث.

إن من المنطلقات الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة اللغوية عند الحاج صالح، رفضه عملية النقل والأخذ عن الكتابات اللسانية تقليدا، وقد قامت النظرية الخليلية الحديثة على منطلقات نقدية قوامها:[25]

5- **القراءة الداخلية**: أي ينبغي البحث في التراث من داخل التراث نفسه، وإذا ما أراد الباحث اللساني قراءة فكر الخليل وسيبويه، فعليه الغوص في كتبهما بعيدا عن كل الإسقاطات والتصورات؛ التي قد تشوه معرفية الفكر اللغوي القديم وتوقعه في مطب الانتقاص.

6- إن الفكر النحوي ضمن حقبه التاريخية شهد مرحلتين: مرحلة التأصيل النحوي العلمي الدقيق ومرحلة المتون والصبغة التعليمية، وعليه ينبغي لمن يقرأ مفاهيم النحاة المتقدمين الالتزام بما يسمى "تاريخية المعرفة النحوية وسيرورتها"، إذ ثمة فروقات إبستيمية ومعرفية متعلقة بتلك المفاهيم بين الحقبة الأولى والثانية، والمعلوم أنه كلما جنحت المعرفة العلمية نحو التبسيط والاختزال تشوهت مفاهيمها والتبست تصوراتها، وهذا ما يصدق على النحو العربي بين زمن التأصيل العلمي وزمن الاجترار وغلبة النزعة التعليمية.

4-1-2 آراء أحمد المتوكل في النظرية الوظيفية:

لقد شكلت النظرية الوظيفية لأحمد المتوكل في الثقافة اللسانية العربية المنعطف الأهم في بسط نظرية متكاملة في وصف اللغة العربية وبنياتها، انطلاقا من جهاز مفاهيمي ثري من حيث منطلقاته التأسيسية، وروافده الفكرية التي تأسست على توليفة منهجية نقدية، أفصح فيها المتوكل عن الشروط البنائية المعتمدة في نظريته، ولعل من بينها ما سنذكره على النحو الوارد:

4-1-3 التصورات المنهجية الواجب أخذها في المقارنة بين اللسانيات والفكر اللغوي القديم:

يمكننا بيان أهم المخرجات المنهجية المتعلقة بسؤال القراءة؛ التي يتم استقراؤها من طرح أحمد المتوكل على وفق ما يأتي:[26]

1 ظروف الإنتاج: أي السياق المعرفي الذي وجد فيه كل فكر؛ فاللسانيات قد انفتحت على علوم ومعارف مختلفة منها: علم النفس بفروعه المختلفة والرياضيات والمنطق والصورنة والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها، أما الفكر اللغوي العربي القديم فكانت له خصوصياته المعرفية المرتبطة بسياقه الثقافي الخاص.

2 الموضوع: وهو أساس الاشتغال الذي تبنى عليه الدراسة، والواضح أنه عند عقد مقارنة بين موضوع الفكر اللغوي القديم وموضوع اللسانيات، يظهر لنا أن الأول ارتبط بالعربية الفصحى التي كانت لسان العرب الذي يخشى عليه من اللحن، في حين تعلق الثاني بمسألة الوصول إلى اللغات بغض النظر عن طبيعتها أو أصولها إن كانت فصحى أو عامية أو لهجة إلى غاية ما يسمى اليوم بالنحو الكلي؛ أي بناء قواعد كلية تشترك فيها اللغات جميعها باعتبارها قدرة ذهنية وكفاءة فطرية عقلية.

3 توضيح الهدف الأساسي من دراسة اللغة.

وعليه فإن موقف أحمد المتوكل في تعامله مع هذه الإشكالية يتلخص في انتمائه إلى الاتجاه التوفيقي؛ الذي يحاول التوفيق بين الفكر اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة، فقد أعاد المتوكل قراءة هذا الفكر من منظور الطرح اللساني وذلك بغية الوصول إلى نظرية معاصرة يصلح تطبيقها على اللغة العربية وهي النظرية الوظيفية.

إن أهم الضوابط المنهجية التي أقرها المتوكل في شأن مطلب القراءة تتلخص في قوله:"المنطلق في المنهجية التي نقترحها لقراءة التراث اللغوي العربي هو أن المفاهيم المعتمدة في علوم العربية تنزع إلى التوحد وإن تعددت هذه العلوم، وإلى تشكيل إطار نظري يخلف الدراسات النحوية والبلاغية والأصولية والتفسيرية على حد سواء. وتطمح هذه المنهجية إلى تمكين قارئ التراث من تلافي منزلقين: منزلق القطيعة، ومنزلق الإسقاط"[27]، ولعل مما يُستنبط من هذا الموقف ما يلي:

1 إبعاد مفهوم القطيعة المعرفية في تعاملنا مع إشكالية قراءة الفكر اللغوي العربي القديم.

2 سؤال القراءة ينبني إبستيميا انطلاقا من مبدأين هما: السعي إلى قراءة الفكر اللغوي قراءة دقيقة ذات فهم عميق، ثم الاستثمار المنهجي والمعرفي لما تم أخذه من تلك القراءة الواعية في مرحلة ثانية من أجل بناء منطلقات معرفية جديدة تطبق على اللغة العربية بطريقة معاصرة لا تمس بنظامها وإنما تخلق له تكييفا منهجيا جديدا.

4-1-4 آراء عبد القادر الفاسي الفهري:

إن العلاقة بين اللسانيات والفكر النحوي القديم علاقة صراع[28]على حد تصور الفهري، بل ونراه يُجاوز هذا الوصف ويعطيه امتدادات أعمق من ذلك، إذ يرى في هذه الإشكالية أنها مظهر من مظاهر التخلف أو الرجعية في الثقافة العربية، ويذهب إلى إنكار فكرة أن النحو العربي واللسانيات الحديثة متناقضان أو متضاربان ويستدل في موقفه هذا، أنَّ ثمة عددًا لا حصر له من الباحثين ممن يمتلكون عمقا معرفيا وناصية منهجية بكل ما يحيط بالنحو العربي، غير أنهم لا يمتلكون أدنى معرفة باللسانيات الحديثة وبأسسها وإشكالياتها وقضاياها والعكس صحيح.

وعليه فإن سؤال قراءة الفكر اللغوي العربي القديم لا يجب أن ننظر إليه نظرة تقليدية تراثية؛ إذ التحدي الأكبر ليس مقتصرا على سؤال"بماذا نبدأ"؟[29]بل كيف نسعى نحو بناء معرفة لسانية تأسيسية قائمة في جوهرها على معايير علمية وضوابط إبستيمية، وبعبارة أوضح البحث عن مقومات المنهج وكيفية بنائه بناء عميقا يستجيب لأبجديات مفهوم العلمية المؤسسة في تجلياتها المعاصرة، ولعل في كلامه إشارةً إلى أنه يتبنى فكرة التحديث في معالجة اللغة العربية على وفق ما توصلت إليه المقاربات اللسانية الحديثة، وهذا ما عكسته أعماله العلمية وكتاباته اللسانية.

ولعل ما يدعم رأينا المذكور آنفا أنه في معرض تناوله بعض الملاحظات والانتقادات حول الكتابة اللسانية وتحديدا حول ما أسماه بـ "اللغة الموصوفة وأزمة المنهج"أننا وجدناه قد أسهب في تبيان موقفه من إشكالية قراءة الفكر اللغوي العربي القديم؛ إذ يظهر في مقام الانتقاد لمن يبقون مقيدين بما تناوله السابقون فقط إذ قال:" ...مع أنه لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة. وقد أدى هذا ببعضهم إلى تبني مواقف غريبة، تخلط بين وصف اللغة العربية وقراءة التراث النحوي العربي".[30]

إن من أعمق الإشكاليات التي طرحها الفهري نجدها متعلقة بمسألة المعطيات، فهو يرى أن المعطيات التي انطلق منها القدماء في وصف اللغة العربية ليست بالضرورة أن نعتمدها في بناء أنحاء جديدة متعلقة باللغة العربية المعاصرة اليوم، وحجته في ذلك أن العربية كغيرها من الألسن الطبيعية تخضع لناموس التطور والتغير والتبدل، فاعتبارها عربية لا يعني مطلقا انفرادها بخصائص مختلفة عن اللغات الأخرى.

وعليه فقراءة الفكر اللغوي العربي على وفق المعطى التراثي لن يجدي نفعا، ثم نجده يسهب في ذلك موضحا بأن منهج القدماء فيه من الثغرات المنهجية في كثير من القضايا اللغوية كمسألة الاستفهام مثلا، ولا يمكن أن ننظر إليه نظرة شمولية تامة الأبعاد نظرا لافتقادها لعنصر التمثيل التام أو في بعض الأحيان تتصف بالعموميات، وقياسا على هذه الرؤى النّقدية التي أبصرها في منهج المتقدمين يمكن أن تكون بعض معطيات النحويين في نظره معطيات زائفة وليست كلها وقد صرح بذلك قائلا:"يمكن أن نقول إننا على العكس من الفكرة الشائعة التي مفادها أن النحو التقليدي يزودنا بكل ما نحن في حاجة إليه، ينبغي أن نتوقع غياب المعطيات الأكثر دلالة بالنسبة إلى افتراضاتنا، أو تشويهها أو إنكار بعض النحاة أو اختلافها باختلاف مراحل تاريخ اللغة...الخ، على أن هذا لا يعني فساد كل المعطيات والتعميمات التي ننظر إليها".[31]

قد لا نسير في مسار تقبل ما قيل بخصوص المعطيات الزائفة، فجهود المتقدمين انطلقت من واقعهم اللغوي آنذاك ومن ثم فمعطياتهم قد تم بناؤها قياسا على استقراءاتهم للظاهرة النحوية حينئذ وبناء على المشاهدة والنظر والسماع، ولو انطلقنا من مسألة نقد المعطيات لوجدنا أن من انتقدوا النحاة في هذا الشأن لم تكد تخرج أمثلتهم عن الأمثلة التي ساقها النحاة المتقدمون، حتى أن الوصفيين لم يسلموا من ذلك، فإذا كانت المعطيات غير نافعة فلماذا ظلوا يسيرون على نهجها ويستدلون بها وهم ينتقدونها؟

4-1-5 آراء مصطفى غلفان:

إن المتأمل في كتابات اللساني مصطفى غلفان خاصة في مؤلَّفِه "اللسانيات العربية أزمة المنهج"، يتراءى لنا ذلك الطرح المنهجي والمؤسس إبستيميا، في سرد وتناول هذه القضية على وفق تصورات عميقة يعمد فيها إلى القراءة النّقدية الفاحصة لهذه الإشكالية.

ينطلق غلفان من مسلمة مفادها أن الكتابات اللسانية العربية وهي تحاور هذه الإشكالية المتعلقة بسؤال القراءة، نجدها لا تزال يكتنفها الغموض ولم تخضع لأبجديات التقييم النظري والمنهجي الدقيق، ولذلك نجده ينطلق في اقتناعه اللساني من اعتبار "المحلل الناقد هو بمثابة محاور ومناظر لغيره في الوقت ذاته".[32]

وعليه فإن قراءة الفكر اللغوي في ضوء النظر اللساني الحديث تعاني من أزمتين:[33]

1 أزمة على مستوى الأسس المتبناة في التحري عن سؤال القراءة.

2 أزمة في المنطلقات النظرية والمنهجية المعتمد عليها في مشروع القراءة.

وعليه يستحضر مصطفى غلفان في خطابه اللساني النقدي معادلة مزدوجة الأطراف؛ إذ يشترط في منهجية قراءة الفكر اللغوي العربي القديم وجوب توافر مبدأين اثنين هما: [34]

أوّلا: القراءة في بعدها المنهجي والعلمي:

ومعنى ذلك أن سؤال القراءة يتأتى في: ماذا نقرأ؟ وبأي كيفية نقرأ؟ وهل فعل القراءة يخضع لشروط معينة؟ استنادا إلى مثل هذه التساؤلات يبني غلفان نقده التأسيسي انطلاقا من استحضار وفهم وتطبيق الإجراءات المنهجية التي تعين الباحث اللساني على تقفي أثر الممارسة اللسانية العلمية؛ التي تسعى وراء تحليل ونقد المفاهيم، وتفكيك المرجعيات الفكرية والأبعاد الإيديولوجية المتعلقة بتلك الرؤى التي تقرأ الفكر اللغوي القديم في ضوء المستجدات اللسانية.

ثانيا: القراءة في بعدها الحضاري والفكري:

أي أن قراءة الفكر اللغوي القديم يجب أن ننظر إليها في سياق حضاري يستحضر وجود الذات العربية، واعتباره محطة من المحطات الكبرى التي لا ينبغي تجاوزها؛ لأن مفهوم القراءة لا يجب أن يبنى على حساب الخصوصية الحضارية وذلك من خلال عدّ هذا الفكر بحمولته المعرفية فكرا زاخرا وثريا وأن لا ننظر إليه نظرة دونية وكأنه حلقة من حلقات المعرفة قد انتهى زمانها.

5- ما نحتاج إليه من ضوابط منهجية في نظر الباحثة:

أ. إننا بحاجة إلى كتابات لسانية تحاول تقديم وصف اللغة العربية وصفا علميا، انطلاقا من تمثلات لسانية تجريدية تأخذ في الحسبان خصوصية اللسان العربي بوصفه نظاما لغويا في بنياته التركيبية.

ب. تجنب الخلط بين المفاهيم القديمة والمفاهيم اللسانية الحديثة في الدراسة نظرا لاختلاف البنية العقلية المكونة لتلك المفاهيم من حيث التصورات التمثيلية التي تعبر عنها، إلى جانب عامل الزمن والبعد التاريخي، والأسئلة المعرفية التي يطرحها كل عصر فكل هذه العوامل ينبغي الأخذ بها.

ج."إنّ لكل زمان أهلًا وعادةً في مقالهم ومجاري استعمالهم"[35]وعليه فعلى وفق هذا التصور أو المبدأ وجب الاستناد النظري في عملية التقويم الإبستيمولوجي للممارسة اللسانية العربية؛ إذ ينبغي أن نأخذ في الحسبان الشروط الآتية:

أ-المبدأ النقدي ويقصد به التصحيح والمراجعة على وفق أسس علمية مضبوطة.

ب-والمبدأ التاريخي ونعني به التتبع الزمني لتطور المعرفة اللسانية مع مراعاة مبدأ الخصوصية.

ج- والمبدأ الحضاري ونعني به الحمولة الثقافية والفكرية التي تتميز بها كل معرفة علمية.

د- ضرورة التقيد المنهجي بما تمليه فلسفة العلم والإبستمولوجيا المعاصرة فيما يتعلق ببنية النظريات العلمية، وتكوينية مفاهيمها.

خلاصة النّظر:

وعليه وبناء على ما تمّت مناقشته، ترى الباحثة أن مسألة قراءة الفكر اللغوي العربي القديم لا تزال تطرح الكثير من الجدالات المعرفية التي تتجدد كل حين، خاصة ونحن نلاحظ كيف أن اللغة العربية اليوم في ظل توافد المقاربات اللسانية الحديثة والتي أخذت تنحو منحىً معرفيا إدراكيا علميا، وعليه فالسؤال الذي يثيرنا في نهاية البحث ولعله يكون باعثا نحو البحث والتنقيب من جديد وهو: ما مصير اللغة العربية بوصفها لسانا طبيعيا وجب إخضاعه للمعايير العلمية في الدراسة اللسانية؟ وما هي انعكاسات هذا التوافد الغربي اللساني في نماذجه الأخيرة على بنية اللسان العربي الفصيح؟.

الهوامش

[1]عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1،2010م،ص 2

[2]طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص 19.

[3]أحمد موسى سالم، العقل العربي ومنهج التفكير الإسلامي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2014م، ص 14.

[4]محمد صلاح الدين الشريف، اللسانيات والتكامل الثقافي المتوازن في تعليم العربية لسانا أول، دار وجوه، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2018م،ص 71.

[5]ينظر: محمد عابد الجابري، 1991م، التراث والحداثة، دراسات ومثاقفات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، ص 15 وما بعدها.

[6]ينظر:مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، ط1، 1988م، ص 353- 354.

[7]طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م، ص 05.

[8]مارتن هايدغر، مبدأ العلة، تر: نظير جاهل: المؤسسة الجامعية، ط1، 1991م، ص 05.

[9]سعيد جاسم الزبيدي، في النحو العربي أزمة منهج، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2022م،ص 16.

[10]طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص 60.

[11]عبد الرحمن طه،حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011م،

[12]منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1995، ص11.

[13] ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة واللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2009م، ص 327.

[14]محمد الحيرش، النص وآليات الفهم في علوم القرآن، دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013م،ص 36- 37.

[15]عزالدين مجدوب، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، دار محمد الحامي، تونس، ط1، 1998م، ص 05- 12.

[16]مصطفى غلفان، التراث اللغوي العربي واللسانيات، ضمن كتاب قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 2019/3/14م، ص 124.

[17] Pepper. K.Rla logique de la découvre scientifique, Payot, Paris, . 1973/1935 p41.

[18]ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أزمة المنهج، دار ورد الأردنية، ط1، 2013م، ص 183- 189.

[19]ينظر: المرجع نفسه، ص 187- 188.

[20]عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012م، ص 247. ** وجدنا في العبارة المقتبسة خطأ مطبعيا فقمنا بتصحيحه والجملة الأصلية التي وردت في الكتاب هي: "مجتهدين لا مقلدين".

[21]عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012م،ص 08.

[22]عبد الرحمن الحاج صالح، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع2006،4م، ص 09.

[23]عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي، ص 08.

[24]عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1،ص 12

[25]ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، مجلة المعرفة، ع 270، 1984م، ص 80 وما بعدها.

[26]ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص 39- 40.

[27]المرجع نفسه، ص 40- 41.

[28]ينظر: المرجع نفسه، ص 99.

[29]المرجع نفسه، ص 99.

[30]عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، المغرب، ط1، 1985م، ص 52. وقد أشار أحمد المتوكل إلى هذه المسألة في معرض حديثه عن نظرية المعنى عند اللغويين العرب القدماء.

[31]المرجع نفسه، ص 55.

[32]مصطفى غلفان، دت،اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، المغرب، دط، ص 57.

[33]ينظر: المرجع نفسه، ص 17- 24.

[34]مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أزمة المنهج، ص 222.

[35]كمال الدين الزملكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، ط1، 1984م، ص 93.

قائمة المصادر والمراجع

1. لجابري محمد عابد، التراث والحداثة،دراسات ومثاقفات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
2. الحاج صالح عبد الرحمن ، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية بجامعة الجزائر، مجلة المعرفة، ع 270، 1984م.
3. الحاج صالح عبد الرحمن، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع4، 2006.
4. الحاج صالح عبد الرحمن، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012م.
5. الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012م.
6. الحيرش محمد،النص وآليات الفهم في علوم القرآن، دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2013م.
7. الزبيدي سعيد جاسم، في النحو العربي أزمة منهج، كنوز المعرفة، ط1، 2022م.
8. الزملكاني كمال الدين، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، ط1، 1984م،
9. سالم أحمد موسى، العقل العربي ومنهج التفكير الإسلامي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2014م.
10. الشريف محمد صلاح الدين، اللسانيات والتكامل الثقافي المتوازن في تعليم العربية لسانا أول، دار وجوه، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1،2018م.
11. عبد الرحمن طه،حوارات من أجل المستقبل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011.
12. عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000م.
13. عبد الرحمن طه، الحوار أفقا للفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.
14. علوي حافظ إسماعيلي، العلوم الإنسانية في الثقافة العربية، بحث في بعض الشروط السوسيومعرفية والتربوية لتجليات التلقي، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، ع60، س 15، 2008م.

15. علوي حافظ إسماعيلي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة واللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2009م.
16. عياشي منذر، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1995م.
17. غلفان مصطفى، دت، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، المغرب، دط.
18. غلفان مصطفى، اللسانيات العربية أزمة المنهج، دار ورد الأردنية، ط1، 2013م.
19. غلفان مصطفى، التراث اللغوي العربي واللسانيات، ضمن كتاب قراءات معاصرة لقضايا في التراث اللغوي والأدبي والبلاغي، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، 2019/3/14م.
20. الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، المغرب، ط1، 1985.
21. مجدوب عزالدين، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، دار محمد الحامي، تونس، ط1، 1998م.
22. المسدي عبد السلام،باحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتب الجديد المتحدة، ط2010،1م.
23. هايدغر مارتن، مبدأ العلة، تر: نظير جاهل: المؤسسة الجامعية، ط1، 1991م.
24. الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، ط1، 1988م.
25. 25 Pepper. K.R. la logique de la découvre scientifique, Payot, Paris ,1973/1935.